الباب السادس
الكسوة والسرقة

كسوة الكعبة

كان بناء الكعبة أول عهدها يترك هكذا بلا كسوة ،ثم أخذوا يضعون عليها أنطاعاً ثم تطورت الكسوة فصارت من حرير ، وتقلبت فى الألوان مابين أبيض وأصفر وغيرهما ،وكساها الملوك والتجار ،وأيضاً كستها دول ليست مسلمة كاليابان وتقلبت كسوة الكعبة مابين كسوتها وسرقة كسوتها وماعليها كما سنرى.

قال الواقدي بعد ذكر رواته: نهى رسول الله (ص)عن سب أسعد الحميري وهو تبع فهو أول من كسا البيت وهو تبع الآخر .

وفى قصة كسوة تبع لها نورد ماحكاه عبيد الجرهمي وكان كبير السن عالماً بأخبار الأمم : أن تبعاً الأصغر وهو تبع بن حسان بن تبع سائر بيثرب فنزل في سفح أحد ،وذهب إلى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة و خمسين رجلاً صبراً وأراد خرابها فقام إليه رجل من اليهود كبير السن فقال:أيها الملك مثلك لا يقتل على الغضب ولا يقبل قول الزور أمرك أعظم من أن يطير بك برق أو تسرع بك لجاج فإنك لا تستطيع أن تخرب هذه قال ولم ؟ قال لأنها مهاجر نبي من ولد إسماعيل يخرج من هذه الثنية يعني البيت الحرام فكف تبع ومضى إلى مكة ومعه هذا اليهودي ورجل آخر عالم من اليهود فكسا البيت ونحر عنده ستة

آلاف جزور وأطعم الناس وقيل إنه ملك ثلاثمائة وعشرين سنة وقال السهيلي وروى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال لا تسبوا أسعد الحميري فإنه أول من كسى الكعبة.[1]

وفي الاسلام كساها النبي (ص) الثياب والقماش اليمني وكساها عمر بن الخطاب الكتان المصري ،وقَالَ هِشَامُ بنُ عُرْوَةَ: أَوَّلُ مَنْ كَسَا الكَعْبَةَ الدِّيبَاجَ بدل الجلود ابْنُ الزُّبَيْر ،ومن بعده يزيد بن معاويه وعبد الملك بن مروانِ، وأول من كسا الكعبة مرتين في العام معاوية بن ابي سفيان في عاشوراء وخواتيم شهر رمضان .

وَكَانَ عبد الله بن الزبير يُطَيِّبُ الكعبة من الداخل والخارج حَتَّى يُوجَدَ رِيحُهَا مِنْ طَرَفِ الحَرَمِ ، وكساها الخلفاء، الراشدين ،والامويين، والعباسيين ، وحكام مصر ، والسلاطين العثمانيين ،والملوك السعوديين.

قال ابن إسحاق : كانت الكعبة تكسى القباطي ثم كسيت البرد وأول من كساها الديباج الحجاج وهناك أكثر من قول عن أول من كساها الديباج قالوا الحجاج ، وقالوا عبد الله بن الزبير، وقالوا عبد الملك بن مروان ،وقالوا يزيد بن معاويه فأى منهم كان هو الأول الله أعلم .

جاء فى تاريخ الخلفاء[1] : أخرج عن هشام بن عروة وخبيب قال : أول من

1- البداية والنهاية جزء 2 - صفحة 166 0

كسا الكعبة الديباج ،عبد الله بن الزبير ،وكان كسوتها المسوح والأنطاع وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال : أخبرني غير واحد أن أول من كسا الكعبة بالديباج عبد الملك بن مروان وإن من أدرك ذلك من الفقهاء قالوا : - أصاب ما نطم لها من كسوة أوفق منه [2] وأخرج الواقدي عن أبي جعفر الباقر قال : أول من كسا الكعبة الديباج يزيد بن معاوية وقال العلماء : لا ينبغي أن يؤخذ من كسوة الكعبة شيء فإنه مهدى إليها ولا ينقص منها شيء روي عن سعيد بن جبير أنه كان يكره أن يؤخذ من طيب الكعبة يستشفى به وكان إذا رأى الخادم يأخذ منه ضربه ضربة موجعه وقال عطاء : كان أحدنا إذا أراد أن يستشفي به جاء بطيب من عنده فمسح به الحجر ثم أخذه.

قال الفاكهي : أول من كسا الكعبة الديباج الأبيض المأمون واستمر ذلك بعده إلى أيام الخليفة الناصر إلا أن محمود بن سبكتكين كساها في خلال هذه المدة دبياجاً أصفر [3] وكانت الكعبة تكسى الديباج الأبيض من أيام المأمون فكساها الناصر ديباجاً أخضر ثم كساها ديباجاً أسود وهو الموجود إلى الآن .

وجدير بالذكر أن الكسوة كانت تخضع فى معظم الأوقات لمن يحكم الجزيرة العربية حيث أثناء الدولة الأموية والعباسية كانت الكسوة تخرج من دار الخلافة وفى الدول التى تليها كانت تخرج أيضاً من دار الملك فحين كان لمصر

1- جزء 1 - ص 187 2- تاريخ الخلفاء جزء 1 - ص 182 0 3- البداية والنهاية جزء 12 – ص 212 وفي تاريخ الخلفاء جزء 1 – ص 387

الأمر على الحرم كانت تخرج الكسوة منها وكانت تسمى المحمل وكان يقام لها إحتفال عظيم.

جاء فى البداية [1] :- في حادي عشر شوال طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة وكان يوماً مشهوداً أى أنه كان يحتفل بها إحتفالاً عظيماً، ويطاف بها فى الأرجاء كى يراها الخلق ، ولقد كان بعض الملوك يستغل هذا الأمر لكسب رضا الرعية ، وإيهامهم بصلاحه .

الخوف من تهدم الكعبة :

ظلت الكعبة تكسى ثوباً فوق الآخر ولا ينزع عنها الأول إلى أن خيف عليها السقوط بسبب ثقل ما عليها ولقد كان هناك أكثر من قول فيمن كان أول من أذن فى تجريد ثيابها قبل كسوتها .

في تاريخ الخلفاء[1] قال:- فى سنة ستين حج المهدي فأنهى إليه حجبة الكعبة أنهم يخافون هدمها لكثرة ما عليها من الأستار فأمر بها فجردت و اقتصر على كسوة المهدي وفى البداية والنهاية [2] شكت الحجبة – أى حجاب الكعبة - إلى المهدي أنهم يخافون على الكعبة أن تنهدم من كثرة ما عليها من الكساوى فأمر بتجريدها فلما انتهوا إلى كساوي هشام بن عبدالملك، وجدها من ديباج ثخين فأمر بإزالتها فلما جردها طلاها بالخلوف وكساها كسوة

1- جزء 13ص 271

حسنة جداً وفي الأوائل للعسكري قال معاوية أول من أذن في تجريد الكعبة وكانت كسوتها قبل ذلك تطرح عليها شيئاً فوق شيء.

وعلى الرغم من اهتمام الملوك والأمراء والخلفاء بكسوة الكعبة إلا أنهم كانوا فى بعض السنوات لا يكسونها شيئاً إما لقصر ما بيدهم من المال وإما الخوف من القرامطة أو أصحاب الزنج أو غيرهم أو لاختلاف الملوك فيما بينهم فقد قال ابن الجوزى فى المنتظم، وابن كثير فى البداية:- دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة وفيها كسى الكعبة رجل من التجار يقال له راست الفارسي بثمانية عشر ألف دينار وذلك لأنه لم تأتها كسوة في هذا العام لأجل اختلاف الملوك . [3]

كما أن الكعبة غسلت كثيراً وكانت تغسل قبل كسوتها ومن الأمراء من كان يبالغ فى إكرامها بالغسيل فكان يضع فى الماء ماء الورد مثلما حدث سنة سبع وستين وستمائة ،عندما حج السلطان الملك الظاهر ،وفي صحبته الأمير بدر الدين الخزندار وقاضي القضاة صدر الدين سليمان الحنفي وفخر الدين بن لقمان وتاج الدين بن الأثير ونحو من ثلاثمائة مملوك وجنود من المنصورة فسار إلى المدينة النبوية فأحسن إلى أهلها ونظر في أحوالها ثم منها إلى مكة فتصدق على المجاورين ثم وقف بعرفة وطاف طواف الإفاضة وفتحت له

1- جزء 1 - ص 316 2- جزء 10 - ص 132 3- البداية جزء12ص 212

الكعبة ،فغسلها بماء الورد وطيبها بيده ثم وقف بباب الكعبة فتناول أيدي الناس ليدخلوا الكعبة وهو بينهم ثم رجع فرمى الجمرات ثم تعجل النفر فعاد على المدينة النبوية فزار القبر الشريف مرة ثانية [1]

نهب الكسوة :

وقد تعرضت الكعبة لسرقات كثيرة على مر تاريخها ومنذ ولاية قبيلة جرهم للبيت عندما حاول حارس الكعبة سرقة كنزها فأطبق عليه بئر الكعبة التي فيها الكنوز حتى جاء الناس وافتضح أمره وسموا بئر الكعبة الأخسف ويقال أنه منذ ذلك الوقت أسكن الله ثعبان في بئر الكنز ولم يخرج هذا الثعبان إلا بعد 500 عام في ولاية قريش للكعبة .

وعلى الرغم من أن الحكام المسلمين كان يعجزون فى بعض الأعوام عن كسوتها ولم يكفهم التقصير إلا أنهم ورغم مهابة الكعبة فى النفوس فقد خلعوا ما عليها من ذهب مهدى إليها وكسوة وأخذوه إما طمعاً وإما لحل مشاكلهم المادية به ففى سنة اثنتين وستين وأربعمائة ضاقت النفقة على أمير مكة فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة فضرب ذلك دراهم ودنانير وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي. [1]

1- البداية جزء 13 ص 254 وما بعدها

كما اعتدى أمير مكة داود بن عيسى بن قليتة الحسني فأخذ أموال الكعبة حتى انتزع طوقاً من فضة كان على دائرة الحجر الأسود كان قد جمع كسوره حين ضربه القرمطي بحربة [2] وفى نفس السنة تقريباً وبعد أن أعيد كسوتها أعيد نهبها مرة أخرى فلقد حج بالناس الأمير خمارتكين الحسناني وقطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة وقلعت الصفائح التي على باب الكعبة التي عليها ذكر الخليفة المصري وجدد غيرها عليها وكتب عليها اسم المقتدي[3].

وقد كان للبدو نصيب فى سرقة الكسوة جاء فى البداية أنه في سنة إحدى وستين ومائتين [1]وثبت طائفة من الأعراب على كسوة الكعبة فنهبوها وسار بعضهم إلى صاحب الزنج وأصاب الحجيج منهم شدة وبلاء شديد وأمور كريهة كما قال ظهر إسماعيل بن يوسف الذى ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب فيما ادعى بمكة فهرب منه نالبها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى فنهب منزله ومنازل أصحابه وقتل جماعة من الجند وغيرهم من أهل مكة وأخذ ما في الكعبة من الذهب والفضة والطيب وكسوة ولم يقتصر نهب الكعبة على كسوتها بل ما أسوأ من ذلك تم قلع الحجر الأسود وسرق أخذه القرامطة وظل عندهم أكثر من عشرين عاماً ثم تمت إعادته الى مكانه ولله الحمد والمنة وقصة السرقه كامله فى باب القرامطه والكعبة .

1- البداية ج 12 ص 346 2- البداية ج 12 ص 346 3- البداية ج 9 – ص 82

أحكام سرقة الكعبة المشرفة:

ولسرقة شئ يخص الكعبة أحكام اختلفت المذاهب الفقهية فيه على النحو التالى:-

المالكية قالوا: من سرق شيئاً من داخل الكعبة المشرفة، فإن كان في وقت أذن له بالدخول فيه لم يقطع، لأنه لا حرز في حقه، وإلا قطع إن أخرجه لمحل الطواف، ومما فيه القطع ما عليها، وما علق بالمقام، ونحو الرصاص المسمر في الأطين.

الشافعية قالوا: يقطع من سرق ستر الكعبة إن خيط عليها لأنه حينئذ محرز.
الحنابلة قالوا: إن من سرق شيئاً من أستار الكعبة، أو من داخلها وكان يساوي ثمنه نصاباً فإنه يجب عليه القطع، لأنه انتهك حرمة بيت الله تعالى فدل ذلك على ضعف إيمانه وعدم معرفته بعظمة حرمة الكعبة المشرفة، ونسبتها إلى الله تعالى، فيجب أن يشدد عليه ويقطع بسرقته.

الحنفية قالوا: من سرق من أستار الكعبة ما يبلغ ثمنه مقدار نصاب فلا يجب عليه القطع، لأنه لا مالك له، ولأنه ربما قصد بها التبرك.
وقيل: إن القطع في سرقة ستارة الكعبة على الخواص الذين قوي إيمانهم، وعرفوا عظمة حرمة بيت الله الحرام، ونسبة الكعبة إلى رب العزة تبارك

1- جزء 11 - ص 39

وتعالى، لما ورد في الحديث من تغليظ العقوبة على السارق في الحرم، أما رعاع الناس وعوامهم الذين غلظ حجابهم وجهلوا كونهم في حضرة الله تعالى، وغابوا عن تعظيمها، فإنهم يعزرون، ولا يقطعون بسرقة بعض أستارها وقال عبد الله بن زرارة أن من يأكل أموال الكعبة يشدد عليه في النزع عند الموت .

وصف كسوة الكعبة

تصنع كسوة الكعبة من الحرير الطبيعي الخالص المصبوغ باللون الأسود المنقوش عليه عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله، الله جل جلاله سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، يا حنان يا منان كما يوجد تحت الحزام على الأركان سورة الإخلاص مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من الزخارف الإسلامية ويبلغ ارتفاع الثوب 14 متراً، ويوجد في الثلث الأعلى من هذا الارتفاع حزام الكسوة بعرض 95 سنتمتراً، مكتوب عليه بعض الآيات القرآنية ومحاط بإطارين من الزخارف الإسلامية ومطرز بتطريز بارز مغطى بسلك فضي مطلي بالذهب، ويبلغ طول الحزام 47 متراً، ويتكون من ستة عشره قطعة، كما تشتمل الكسوة على ستارة باب الكعبة المصنوعة من الحرير الطبيعي الخالص، ويبلغ ارتفاعها سبعة أمتار ونصفاً ويعرض أربعة أمتار مكتوب عليها آيات قرآنية وزخارف إسلامية ومطرزة تطريزاً بارزاً مغطى بأسلاك فضة مطلية بالذهب، وتبطن الكسوة بقماش خام كما يوجد ست قطع آيات تحت الحزام، وقطعة الإهداء و11 قنديلاً موضوعة بين أضلاع الكعبة،ويبلغ طول ستارة باب الكعبة 7.5 أمتار بعرض أربعة أمتار مشغولة

بالآيات القرآنية من السلك الذهبي والفضي، وعلى الرغم من ميكنة الإنتاج، فان العمل اليدوي ما زال يحظى بالاهتمام.

ويستهلك الثوب الواحد 670 كجم من الحرير الطبيعي، ويبلغ مسطح الثوب 658 متراً مربعاً، ويتكون من 47 طاقة قماش طول الواحدة 14 متراً بعرض 95 سم، وتبلغ تكاليف الثوب الواحد للكعبة حوالي 17 مليون ريال سعودي؛ هي تكلفة الخامات وأجور العاملين والإداريين وكل ما يلزم الثوب ويبلغ عدد العاملين في إنتاج الكسوة 240 عاملاً وموظفاً وفنياً وإداريًا.

سرقة الحجر الأسود :

سنة ثلاثمائة وسبعة عشر سير المقتدر ركب الحجيج مع منصور الديلمي فوصلوا إلى مكة سالمين فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً وطرح القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه وأقام بها أحد عشر يوما ثم رحلوا وبقي الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى أعيد في خلافة المطيع.

وقيل : إنهم لما أخذوه هلك تحته أربعون جملاً من مكة إلى هجر فلما أعيد تم حمله على قعود هزيل فسمن.

أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم[1]

خرج ركب العراق وأميرهم منصور الديلمي فوصلوا إلى مكة سالمين وتوافدت الركوب هناك من كل مكان وجانب وفج فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية فنهب أموالهم واستباح قتلهم فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام وهو يقول أنا لله وبالله أنا ،أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا(عليه لعائن الله والناس أجمعين) ولم يفلح أبوطاهر القرمطى بعدها وتقطع جسده بالجدرى[1] .

فكان الناس يقرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً بل يقتلون وهم كذلك ويطوفون فيقتلون في الطواف وقد كان بعض أهل الحديث يومئذ يطوف فلما قضى طوافه أخذته السيوف فلما وجب أنشد وهو كذلك:

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة

1- البداية والنهاية جزء 11 - صفحة 160

أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم ودفن كثيراً منهم في أماكنهم من الحرم وفي المسجد الحرام ويا حبذا تلك القتلة وتلك الضجعة وذلك المدفن والمكان ومع هذا لم يغسلوا ولم يكفنوا ولم يصل عليهم لأنهم محرمون شهداء في نفس الوقت وهدم قبة زمزم وأمر بقلع الكعبة ونزع كسوتها عنها وشقها بين [1] أصحابه وأمر رجلا أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه فسقط على أم رأسه فمات فإلى النار فعند ذلك كف الخبيث عن الميزاب ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود فجاءه رجل فضربه بمثقل في يده وقال أين الطير الأبابيل أين الحجارة من سجيل ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة حتى ردوه في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما رجع القرمطي إلى بلاده ومعه الحجر الأسود وتبعة أمير مكة هو وأهل بيته وجنده وسأله وتشفع إليه أن يرد الحجر الأسود ليوضع في مكانه وبذل له جميع ما عنده من الأموال فلم يلتفت إليه فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي وقتل أكثر أهل بيته وأهل مكة وجنده واستمر ذاهباً إلى بلاده ومعه الحجر وأموال الحجيج وقد ألحد هذا اللعين في المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه وسيجازيه على ذلك الذي لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع أنهم كفار زنادقة.

1- تاريخ الخلفاء جزء - ص105 2-البداية والنهاية جزء 11 - صفحة 161

ذكر ابن الأثير أن المهدي هذا كتب إلى أبي طاهر يلومه على ما فعل بمكة حيث سلط الناس على الكلام فيهم وانكشفت أسرارهم التي كانوا يبطنونها بما ظهر من صنيعهم القبيح وأمره برد ما أخذه منها فكتب إليه بالسمع والطاعة وأنه قد قبل ما أشار إليه من ذلك وقد أسر بعض أهل الحديث في أيدي القرامطة فمكث في أيديهم مدة ثم فرج الله عنه وكان يحكي عنهم عجائب من قلة عقولهم وعدم دينهم وأن الذي أسره كان يستخدمه في أشق الخدمة وأشدها وكان يعربد عليه إذا سكر وقال أحدهم لأحد الأسرى ذات ليلة وهو سكران ما تقول في محمدكم فقال لا أدري فقال كان سانساً ثم قال ما تقول في أبي بكر فقال لا أدري فقال كان ضعيفاً مهيناً وكان عمر فظاً غليظاً وكان عثمان جاهلاً أحمق وكان علي ممخرقاً لم كان عنده أحد يعلمه ما ادعى أنه في صدره من العلم أما كان يمكنه أن يعلم هذا كلمة وهذا كلمة ثم قال هذا كله مخرقة فلما كان من الغد قال لا تخبر بهذا الذي قلت لك أحداً وذكره ابن الجوزي في منتظمه وروى عن بعضهم أنه قال كنت في المسجد الحرام يوم التروية في مكان الطواف فحمل على رجل كان إلى جانبي فقتله القرمطي ثم قال يا حميرورفع صوته بذلك أليس قلتم في بيتكم هذا ومن دخله كان آمنا فأين الأمن[1] قال فقلت له اسمع جوابك قال نعم قلت إنما أراد الله فأمنوه قال فثنى رأس فرسه وانصرف .

1- البداية والنهاية جزء 11 - صفحة 162

وقد سأل بعضهم ههنا سؤالا فقال قد أحل الله سبحانه بأصحاب الفيل وكانوا نصارى ما ذكره في كتابه ولم يفعلوا بمكة شيئاً مما فعله هؤلاء ومعلوم أن القرامطة شر من اليهود والنصارى والمجوس بل ومن عبدة الأصنام وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحد فهلا عوجلوا بالعذاب والعقوبة كما عوجل أصحاب الفيل وقد أجيب عن ذلك بأن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت ولما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم من البلد الذي فيه البيت الحرام فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها وإرسال الرسول منها أهلكهم سريعاً عاجلاً ولم تكن شرائع مقررة تدل على فضله فلو دخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله وأما هؤلاء القرامطة فإنما فعلوا ما فعلوا بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء قد ألحدوا في الحرم إلحاداً بالغاً عظيماً وأنهم من أعظم الملحدين الكافرين بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله فلهذا لم يحتج الحال إلي معالجتهم بالعقوبة بل أخرهم الرب تعالى ليوم تشخص فيهالأبصار والله سبحانه يمهل ويملي ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر كما قال النبي (ص) (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار وقال لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد وقال نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ وقال متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون .

قال ابن الجوزي وتحركت القرامطة سنة ثمان وسبعين ومائتين وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك وكانا يبيحان المحرمات ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم لأنهم أقل الناس عقولا ويقال لهم الاسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق ويقال لها القرامطة قيل نسبة[1] إلى قرمط بن الأشعث البقار وقيل إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة ثم اتخذ نقباء اثنى عشر وأسس لأتباعه دعوة ومسلكاً يسلكونه ودعا إلى إمام أهل البيت ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض والجرمية والبابكية نسبة إلى بابك الجرمي الذي ظهر في أيام المعتصم وقتل ويقال لهم المحمرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعاراً مضاهاة لبني العباس ومخالفة لهم لأن بني العباس يلبسون السواد ويقال لهم التعليمية نسبة إلى التعلم من الإمام المعصوم وترك الرأي ومقتضى العقل ويقال لهم السبعية نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المتحيزة السائرة مدبرة لهذا العالم فيما يزعمون لعنهم الله وهي القمر في الأولى وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة قال ابن الجوزي وقد

1- البداية والنهاية جزء 11 - صفحة 62

بقي من البابكية جماعة يقال إنهم يجتمعون في كل سنة ليلة هم ونساؤهم ثم يطفئون المصباح وينهبون النساء فمن وقعت يده في امرأة حلت له ويقولون هذا اصطياد مباح لعنهم الله وقد ذكر ابن الجوزي تفصيل قوهم وبسطه وقد سبقه إلى ذلك أبو بكر الباقلاني المتكلم المشهور في كتابه (هتك الأستار وكشف الأسرار) في الرد على الباطنية ورد على كتابهم الذي جمعه بعض قضاتهم بديار مصر في أيام الفاطميين الذي سماه (البلاغ الأعظم والناموس الأكبر) وجعله ست عشرة درجة أول درجة أن يدعو من يجتمع به أولا إن كان من أهل السنة إلى القول بتفضيل على علي عثمان بن عفان ثم ينتقل به إذا وافقه على ذلك إلى تفضيل علي على الشيخين أبي بكر وعمر ثم يترقى به إلى سبهما لأنهما ظلما علياً وأهل البيت ثم يترقى به إلى تجهيل الأمة وتخطئتها في موافقة أكثرهم على ذلك ثم يشرع في القدح في دين الإسلام وقد ذكر لمخاطبته لمن يريد أن يخاطبه بذلك شبهاً وضلالات لا تروج إلا على كل غبي جاهل شقي كما قال تعالى والسماء ذات الحبك إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك أي يضل به من هو ضال وقال فأنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن أن الباطل والجهل والضلال والمعاصي لا ينقاد لها إلا شرار الناس كما لهم مقامات في الكفر والزندقة والسخافة مما ينبغي لضعيف العقل والدين أن ينزه[1] نفسه عنه إذا تصوره

وهو مما فتحه إبليس عليهم من أنواع الكفر وأنواع الجهالات وربما أفاد إبليس بعضهم أشياء لم يكن يعرفها كما قال بعض الشعراء :

وكنت امرأ من جند إبليس برهة من الدهر حتى صار إبليس من جندي

والمقصود أن هذه الطائفة تحركت في هذه السنة ثم استفحل أمرهم وتفاقم الحال بهم حتى آل بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام فسفكوا دم الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة وكسروا الحجر الأسود واقتلعوه من موضعه وذهبوا به إلى بلادهم وكل ذلك من ضعف الخليفة والتلاعب بمنصب الخلافة وتشتت الأمر وما وراء ذلك هو ذلك أن أمر الخلفاء قد بلغ من الضعف والإنصراف إلى الدنيا والتنعم فيها أن سلط عليهم من انتزع منهم السلطان وأهانهم وعجزوا عنه عشرات السنين فلم تكن نخوة تمنع ولا دين يرد وكفاك بالحجر الأسود يسرق شاهداً على ضعف خلفاء بنى العباس فى هذه الفترة .

1- البداية والنهاية جزء 11 - صفحة 63

obeikandl.com